# اللـــــغـــــة

## تقديم:

كلمة لغة مشتقة، في اللغة العربية، من اللغا او اللغو ويعني الكلام الفارغ غير المفيد، كما تعني مجموعة من الاصوات التي يعبر بها افراد مجتمع معين عن حاجاتهم واغراضهم. كما ان كلمة langage الفرنسية مشتقة من الكلمة اللاتينية lingua التي تفيد الكلام واللسان. ويتبين من هدا ان الدلالة المعجمية لكلمة "لغة" تجعلها ترتبط بالكلام.

والملاحظة المباشرة تؤكد ان الكلام فعل صوتي فردي يتم ويتلاشى في الزمان، بينما تظل اللغة مجموعة من الكلمات والاصوات والقواعد الثابتة، التي من خلالها يتحقق فعل الكلام، وبالتالي هي التي تمكن مجتمعا من التواصل وإنتاج المعرفة، ويتاكد في الوقت نفسه ان عملية التواصل يمكنها ان تتم بطرق اخرى غير الكلام : كالحركات، والإيماءات الجسدية، والعلامات، والرموز. إن اللغة ــ إذن ــ ظاهرة يمكنها ان تتخذ صورا صوتية فردية، او صورا كونية، يمكن بواسطتها ان يتفاهم سائر افراد المجتمعات.

كما انها ظاهرة معقدة يمكن ان تكون موضوع دراسات متعددة في ان واحد (كالفسيولوجيا، والسوسيولوجيا، والانتروبولوجيا، والسيكولوجيا، واللسانيات ...الخ). فاللغة ظاهرة إنسانية/اجتماعية قابلة لان تدرس من عدة زوايا بناء على طابعها المتنوع، فقد تدرس اللغة -اختصارا- من ستة زوايا كما يلي:

1) **الزاويه اللسانيه (Linguistique)**: وهي تستهدف تشريح اللغة على اربع مستويات: اولها المستوى الفونولوجي (Phonologique) ويقصد تحديد الوحدات الصوتية (الفونيمات Phonèmes) والانساق الفونولوجية الخاصة بكل لغة على حدة. وثانيها المستوى الدلالي(Sémantique) ويقصد تحديد دلالة الكلمات ومعاني الالفاظ (المورفيمات Morphèmes) التي تتركب منها الجمل داخل لغة ما. وثالثها المستوى التركيبي Syntactique) او Syntaxique) ويهدف إلى ضبط القوانين والقواعد النحوية والصرفية الإعرابية التي تحكم تركيب الجملة في لغة معينة. ورابعها المستوى التداولي (Pragmatique) وهو يهتم بوظائف اللغة داخل العملية التواصلية وكيفية تداولها داخل الجماعة/المجتمع.
2) **الزاويه الفيزيائيه (Physique)**: وهي تهتم بدراسة الدبدبات او الموجات الصوتية (Ondes Sonores) المنبعثة من المرسل إلى المرسل إليه، اي دراسة اللغة كفعل مادي خارجي محسوس قابل للملاحظة والتجريب والقياس والتكميم.
3) **الزاويه الفيزيولوجيه (Physiologique)**: وهي تدرس الاحداث الفيزيولوجية التي تطرا على اعضاء التصويت (Organes de phonation) عند المتكلم واعضاء الاستماع (Organes d'Audition) عند المستمع على اعتبار انه ليس للغة اعضاء خاصة في جسم الإنسان تؤدي وظيفتها بل هي تستعير من الجسم اعضاء بواسطتها تلقي الرسالة او تتلقاها. ومن بين اعضاء التصويت/الإرسال نجد التجويف الفمي والاسنان والشفاه والقصبة الهوائية والحبال الصوتية والرئتين... ومن بين اعضاء الاستماع/ الاستقبال نجد الاذنين الداخلية والخارجية والطبلة والالياف العصبية...اضف إلى دلك المنطقة الخاصة بالسمع على مستوى الدماغ.
4) **الزاويه السوسيولوجيه (Sociologique)** : وهي تهتم بوظائف اللغة داخل المجتمع على اعتبار انها اساس التواصل الاجتماعي وانها ظاهرة ومؤسسة اجتماعية/جماعية/ مجتمعية، فلا مجتمع دون لغة كما انه لا لغة دون مجتمع وبالتالي لا مجتمع دون تواصل كما ترى جوليا كريستيفا .

http://netcour.online.fr

5) **الزاويه السيكولوجيه (Psychologique)** : وهنا ينصب الاهتمام على مختلف العمليات التي تطرا داخل الدماغ البشري من قبيل: كيفية اكتساب اللغة، وكيفية الترابط الدي يتم داخل الدهن البشري بين الكلمة ومضمونها او بين الدال والمدلول، وكيفية تكون الذات المتكلمة، وكيفية إنتاج الدلالة المبلغة (الرسالة) و كيفية فك رموزها...الخ.

6) **الزاويه الفلسفيه (Philosophique)** : وهي تلامس كل ما سبق ذكره بنظره نقدية -تقويمية- تقييمية.

هكدا تبرز التساؤلات الاساسية حول اللغة:

- كيف يمكن حصر الظاهرة اللغوية في الإنسان؟ ما الدي يجعله كائنا مفكرا ورامزا؟
- ما علاقة اللغة بالفكر؟ هل يمكن التفكير بدون كلمات؟
- هل اللغة منظومة قواعد ومبادئ تعمل باستقلال عن مؤسسات المجتمع وقيمه، ام انها تحمل سلطة محايثة لها؟

# اللغة خاصية إنسانية

هل اللغة خاصية إنسانية؟ كيف نفسر وجود اللغه عند الإنسان دون غيره؟ تم الا يمكن الحديث عن لغة لدى الحيوان؟ واخيرا ما هي مميزات التواصل الإنساني بواسطة اللغة بالمقارنة مع التواصل الحيواني؟

ينطلق ديكارت من قناعة مفادها ان الإنسان وحده الكائن الناطق او بالاصح الكائن الرمزي (Symbolique) الذي يستخدم اللغة المنطوقة/المكتوبة/الحركية للتعبير عن اغراضه ومشاعره وافكاره... واساس حضور اللغة (بمفهومها هدا) عند الإنسان هو وجود الفكر لديه ، كما ان علة غيابها عند الحيوان هي افتقاره إلى الفكر. ودليل ديكارت على هدا هو ان الإنسان مهما بلغ به النقص يستطيع استخدام العلامات للتعبير عن افكاره (كالصم البكم الدين يخترعون علامات وحركات لهدا الغرض) ، في حين ان الحيوان مهما بلغ من الكمال لا يستطيع استعمال اللغة (فنطق الببغاء مثلا ليس لغة لانه مجرد تعبير عن انفعال إشراطي) . وبهدا تكون عبارة : "الإنسان حيوان عاقل" مرادفة لعبارة "الإنسان حيوان ناطق" ، إذ ان العقل/ الفكر اساس النطق/ اللغة . فلا لغة دون فكر او كما قالت العرب «اللغة دالة الفكر».

إن ما يدعى لغة حيوانية لا يعدو ان يكون حركات طبيعية لا تمتل في نهاية المطاف سوى ردود افعال غريزية او قابلة للبرمجة عن طريق الترويض ومن تم قابلة للتوقع او انها استجابات الية لمتيرات ودوافع. بدليل ان اكمل الحيوانات خلقة واكترها ذكاءا واقدرها على إصدار اصوات كالببغاء لا تنطق نطقا يشهد انها تعي ما تقول، ويظل "اداؤها اللغوي" دون مستوى اداء اغبى الاطفال او مستوى الصم والبكم الدين حرموا اعضاء النطق لكنهم قادرون مع دلك على ابتكار علامات يجعلون بها افكارهم مفهومة. إن اللغة إدن وظيفة التعبير عن الفكر ودلالة على الوعي الدين ينفرد بهما الإنسان من منطلق كونه مركبا من جوهرين: الجسد وخاصيته الامتداد تم النفس وخاصيتها التفكير. اما الحيوان فلا يملك غير الحركات الطبيعية او الإنفعالات.

لقد ابان ديكارت انه يمكن اعتبار الاصوات التي تصدر عن الحيوان مجرد استجابات انفعاليه لمؤترات مرتبطه باللدة او الالم. فالصوت المشروط باللدة او الالم لا يمكن اعتباره إلا فعلا منعكسا شرطيا وليس تواصلا. إن اللغه ليست ظاهرة فسيولوجيه، لدا يمكن القول بان الحيوان لا يملك عقلا، ومن تمة فهو غير قادر على استعمال اللغة.

اما إميل بنفنيست، فيستند على نتائج علم الحيوانات (Zoologie) من جهة والسيميولوجيا (Sémiologie) من جهة ثانية ليقر بان الحيوانات كدلك تتواصل إلا انها لا ترقى إلى نفس مستوى التواصل اللغوي عند الإنسان. فبالاعتماد على بعض التجارب التي اجريت على النحل، بين بنفينست ان النحلة تستطيع التواصل في إطار شروط فزيائية معينة، إلا ان هدا "التواصل" هو عبارة عن رقصات لا تستدعي الحوار: فلا يمكن لنحلة ان تعيد إنتاج رسالة نحلة اخرى (غياب الإرسال المجدد)، وموضوع الرسالة مرتبط دائما بشروط موضوعية ينحصر في مكان وجود الغداء، لان لغة الحيوان لغة نمطية، ومرتبطة باستمرار بدوافع غريزية. لدا لا يمكن ان نجد خلافا بين رسالة نحلة واخرى، إلا فيما يخص متغيرات مرتبطة بالمكان. واخيرا فإن لغة النحل لا

http://netcour.online.fr

تقبل التحليل (التفكيك) إلى عناصر واجزاء صغرى نظرا لمحدوديه مكوناتها. إن لغة النحل هده لا تعبر فعلا ولا يمكنها ان تعبر سوى عن عدد محدود من المضامين بسبب محدودية عدد التاليفات والتنويعات الممكنة التي تقبلها لغة الرقصات، كما انها لا تسمح بقيام حوار إذ تظل الرسالة في اتجاه وحيد دون استجابة لغوية من المتلقي، ودون إمكانية نقلها إلى طرف تالث، كما تشترط الحضور الفعلي للموضوع الخارجي المشار إليه. وهده القيود كلها تتفلت منها اللغة الإنسانية.

الجدول ادناه يبين الاختلاف بين التواصل الإنساني والتواصل الحيواني، حسب بنفينست:

| التواصل الإنساني | التواصل الحيواني |
|---|---|
| · صوتي او رمزي في معظمه | · غير صوتي (حركي او إفراز بيوكيماوي) في معظمه |
| · مكتسب | · فطري/غريزي |
| · قائم على الفكر والتفكير | · قائم على الانفعال |
| · بديل عن الواقع/المرجع | · لا يغني من العودة إلى الواقع/المرجع |
| · متعدد المواضيع/المضامين | · وحيد الموضوع/ المضمون (الاكل/ الشرب/الجنس/الخطر) |
| · متطور/ديناميكي | · غير متطور/ستاتيكي |

إن اللغة الإنسانية تسمح بالتاليف والتركيب بين عناصر متنوعة (الحروف، الكلمات، الجمل، الفقرات، السياقات...)، إذا تمفصلت فيما بينها يمكن ان تكون لها دلالات متعددة ولا متناهية بالاعتماد على عدد متناهب من الحروف والكلمات. ولعل هده الخاصية هي التي تميز اللغة الإنسانية عن غيرها من انظمة التواصل لدى الحيوان. فكيف يمكن لاصوات (حروف الابجدية مثلا) وكلمات (مفردات القاموس) متناهية العدد ان تعبر عما لانهاية له من المضامين؟ يعود ذلك إلى خاصية التمفصل المزدوج التي كشف عنها اندري مارتيني. وتتلخص في نوعيت من التمفصل (Articulation) :

- **التمفصل الاول**: وهو عبارة عن تمفصل اللغة في شكل وحدات صوتية قادرة على التعبير عن خبرة معينة، فهذا النوع من التمفصل هو الدي بوسعه ان يفضي على فردانية الخبرة بتحويلها إلى خبرة لسانية جماعية. وميزة هدا التمفصل انه اقتصاد لساني: فمن خلال وحدات صوتية محدودة، نستطيع ان نعبر عن تجارب متنوعة، مادامت الوحدات الصوتية تستطيع ان تدخل في سياقات اخرى جديدة، كما انه اقتصاد سيكولوجي، لانه يجنب الذاكرة البشرية الاضطرار إلى حفظ وحدات صوتية كثيرة، قد يصل عددها إلى عدد التجارب.(اصغر ما يمكن ان نطلق عليه اسم التفصل الاول هو الجملة).
- **التمفصل الثاني**: وهو عبارة عن تمفصل فونيمات (فارغة من المعنى) في وحدات صوتية من التمفصل الاول؛ وهكدا يكون التمفصل الثاني اساس الاول، وميزته انه يمثل اقتصادا لسانيا : فبواسطة فونيمات محدودة نستطيع إنشاء مورفيمات ومونيمات ودلائل متنوعة تستطيع بدورها ان تدخل في سياقات عديدة من التمفصل الاول. وميزته، كذلك، انه يشكل اقتصادا فسيولوجيا : فبدونه، سيكون الإنسان مضطرا إلى ابتكار عدد كبير من الاصوات التي قد لا تطابق قدراته الفسيولوجية. من هدا نستنتج، ان النسق اللغوي ليس نسقا لانهائيا إلا من حيث تاليفاته؛ اما من حيث جذوره فإنه يعتبر محدودا. هكدا يستطيع الإنسان ان يعبر عن خبراته المتنوعة د ونما حاجة إلى خلق وحدات صوتية مطابقة لكل الاشياء والاحداث.(لفهم التمفصل الثاني يكفي ان ناخد كمثل على دلك الحروف الابجدية فهي بضع حروف فرغة من المعنى لكن نستطيع ان نصنع بها الاف الكلمات).

ليست اللغة خاصية إنسانية فحسب بل هي علامة مميزة للوجود الإنساني. وقد ذهب إرنست كاسيرر إلى حد القول بان اللغه والإبداعات الرمزيه عامه قد خلقت عالما رمزيا متوسطا بين الإنسان والعالم المادي بحيث اصبح إدراك العالم الواقعي مستحيلا بغير التحويلات التي يخضعه لها العالم الرمزي. ومن هنا وصف الإنسان بكونه "حيوانا رامزا". فالإنسان يعي العالم

http://netcours.online.fr

عبر شبكة من الرموز اللامتناهية: فكل ما يعرفه الإنسان عن الواقع هو مقادير ومعايير ودوال... اي رموز او شبكة رمزية. وكلما اغرق الإنسان في هده الشبكة الرمزية تراجع الواقع إلى الخلف، والعكس صحيح حسب كاسيرر.

لم يعد الإنسان عند كاسيرر مجرد حيوان ناطق بل اصبح حيوانا خالقا للرموز، واصبحت صفته هده هي الدليل الوحيد على إنسانيته. وعلى هدا الاساس يرى كاسيرر انه بدلا من ان نعرف الإنسان باعتباره حيوانا عاقلا، فإن علينا ان نعرفه باعتباره حيوانا رامزا. فالإنسان لا يعيش في عالم واقعي وإنما في عالم رمزي مكون من اللغة والدين والفن والاسطورة. وبالتالي فإن دراسة الإنسان تصبح قائمة على اساس دراسة هذه الرموز.

## اللغة والفكر

يستطيع الإنسان بواسطة اللغة أن يتمثل الواقع في الذهن دونما حاجة للتقيد به، ويستطيع استحضاره في صورته وشكله الماديين والتفكير فيه دونما حاجة لاسترجاعه... وهذا ما يحيل إلى طبيعة العلاقة الموجودة بين اللغة والفكر: **هل هي علاقة تبعية وتلازم؟ أم علاقة انفصال وقطيعة؟**

إن الوقائع والملاحظات التي تدفع للاستنتاج بان الفكر سابق ومستقل عن اللغة متعددة. فهناك من جهة تعدد الانظمة الدالة بتعدد الالسن بل وتعدد انساق العلامات التي يستخدمها الفرد الواحد للتعبير عن نفس الفكرة من حركات وإيماءات ورموز متنوعة مما يدفع إلى القول باستقلال الفكرة عن العبارة لإمكانية انفصال الفكرة عن علامة ما وارتباطها باخرى: هناك إدن نوع من تعالي الفكر على اداته اللغويه، ومن جهة اخر يتبدى الفكر سابقا على اللغة عندما يبحث الإنسان طويلا عن كلمات مناسبة للتعبير عن فكرة ما. لهده الاسباب يفترض الحس المشترك اننا نفكر اولا تم نعبر تانيا اي ننتقل بعد التفكير إلى إلباس افكارنا بكلمات ملائمة. « L'homme pense sa parole avant de parler sa pensé ». وفي متل هده الحالة لن تكون الكلمات والجمل سوى اداة بعدية تساعد على إظهار منتوج عملية التفكير التي تتم قبل وبدون اللغة. وإذا كانت الكلمات والجمل ضرورية لتبليغ نتاج عملية التفكير للاخرين فإنها بالمقابل غير ضرورية لحدوث عملية التفكير داتها. هنا تحصل مقابلة او معارضة الوظيفة المعرفية للفكر بالوظيفة التواصلية للغة .

يمكن ان نجد سندا لهدا الموقف عند ديكارت لا سيما في تنائية النفس/الجسم: فالفكر لامادي مرتبط بالنفس بل هو طبيعتها المميزة لها، اما اللغة فتنتمي للجسم بسبب طبيعتها المادية (الاصوات، الكتابة...) ومن غير الممكن تصور علاقة اتصال بين هاتين الطبيعتين المتمايزتين، إلا ان تكون اللغة مجرد اداة او وسيلة للتعبير عن الفكر القائم بداته .لهدا ينعت متل هدا التصور بالتصور الاداتي للغة. فإلى اي حد يصمد هدا التصور امام النقد وإلى اي حد يعبر فعلا عن حقيقة العلاقة بين اللغة والفكر؟

توقف ميرلوبونتي عند هده العلاقة الإشكالية بين اللغة والفكر مستخدما المنهج الفينومينولوجي المعتمد على وصف المعطيات المباشرة للوعي قبل تدخل النشاط الإدراكي التنظيمي للعقل، ليبين المازق النظرية للتصور الاداتي الدي يعتبر اللغة والفكر كيانين متمايزين في حين انهما سيرورتان متزامنتان. لا ينبغي على مستوى التعبير وصف اللغة بكونها علامة او لباسا للفكر لما يفيده ذلك من اعتباطية العلاقة وانفصالهما كما ينفصل الدخان عن النار رغم كونه علامة عليها، والاجدر وصف اللغة بجسد الفكر او شعاره لان كلا منهما محتوى في الاخر: فالمعنى يؤخد من الكلام؛ او كما تقول اللسانيات البنيوية مع كريستيفا **مثلا**، فالمعنى لا يوجد خارج شبكة التقابلات والاختلافات التي تجمع بين الكلمات المنتمية لنسق لساني ما. بل إن الكلام يملك قوة للدلالة خاصة به، بدليل ان المعاني الجديدة تظهر دائما بمناسبة اشتقاق الفاظ او تراكيب او تعابير جديدة كما يفعل الادباء. إن فاعلية الإنسان الدهنية والمعرفية تتعامل مع الكلمات اكتر مما تتعامل مع الافكار وإلا لمادا يتدكر الإنسان كلمات وجملا على نحو ايسر مما يتدكر افكارا بل إن استدعاء هده يتطلب اولا استدعاء تلك؟ وبعبارة اخرى فالكلام هو الوجود الخارجي للمعنى

http://netcour.online.fr

وحضور الفكر داخل العالم المحسوس متلما ان الفكر هو التمظهر الداخلي للكلام، وليس التفكير الصامت كما يعتقد البعض، إنه بالاحرى ضجيج خافت من الكلمات. وهذا ما اكدته الدراسات العلمية الحديثة في مجال فيزيولوجيا الدماغ. لقد وجد ان الباحات المسؤولة عن الكلام تنشط (اي تصدر إشارات كهروميغناطيسية) حتى عندما يفكر المرء في صمت. هكذا ينتهي ميرلوبونتي إلى التوحيد بين اللغة والفكر باعتبارهما وجهان لنفس السيرورة المعرفيه، رافضا التصورات الفلسفيه القائمه على تنائيات اللغه/الفكر او الخارج/الداخل.

يؤكد ميرلوبونتي وحدة اللغة والفكر متسائلا: لماذا تكون الذات المفكرة نفسها في حالة عدم معرفة بافكارها مادامت لم تعبر عنها ولو لذاتها؟ وبالتالي فالفكرة التي تكتفي بان توجد بذاتها خارج نسيج الكلمات ستسقط في اللاوعي بمجرد ماتظهر. ومن تم فنزوع الفكر نحو التعبير ليس نزوعا بعديا، بل هو نزوع صميمي نحو الوجود والاكتمال.

ويرى دوسوسير بان الفكر بمعزل عن الكلمات لا يعدو ان يكون سديما او عماءا ضبابيا اي كتلة غير متميزة. لذلك يتعذر التمييز بين فكرتين او معنيين كالاحترام والتقديس متلا دون الاستعانة بالوحدات اللسانية المقابلة لهما. مما يسمح بالقول إن الفكر كتلة متصلة ممتدة لا يمكن ان نتبين منه شيئا ما لم يتجزا وينقسم وفق الوحدات اللسانية اي الكلمات، فهناك إذن علاقة جدلية، الفكر واللغة فيها اشبه بوجهي ورقة النقد لا يمكن تمزيق وجه دون المساس بالاخر. تم مادا لو سالنا انفسنا : مالفكر؟ إنه ما تنتجه فعالية التفكير؟ ومالتفكير؟ إنه من الوظائف العليا للدماغ وهو مفهوم يجمع سيرورات جزئية كثيرة: كالتذكر والتحليل والتركيب والمقارنة والترتيب والتجميع والتمييز والربط والفصل...إلخ. ومن البين ان هده السيرورات والعمليات المجردة غير ممكنة بدون ادوات رمزية هي الوحدات اللسانية.

كل ماسلف يؤكد العلاقة الجدلية وعلاقة التزامن لا الاسبقية بين اللغة والفكر. وقد عبرت عن ذلك اللغة اليونانية بان اطلقت لفظة اللوغوس Logos على اللغة والعقل معا. ولكن هل تجيز هذه الدلائل الإسراع بإعلان ان حدود الفكر هي حدود اللغة ؟ وانه حيث تتوقف هذه يتوقف ذاك؟

ينبغي التروي، إذ توجد دلائل اخرى كثيرة على امتداد الفكر خارج دائرة اللغة وابعد من حدودها: منها لجوء العلماء إلى اصطناع لغات رمزية للتعبير عن العلاقات او الوقائع التي يكتشفونها، ومنها تجاربنا الوجدانية التي تبلغ احيانا من الخصوصية والحدة درجة يستحيل معها كل تعبير لغوي ، فيما يمدنا المتصوفة بدليل اخر من تجاربهم الروحية: فما يعيشونه من احوال وما تحصل لهم من مشاهدات وما يبلغونه من مراتب إيمانية يتجاوز بكثير كل الإمكانات التعبيرية للغة المتداولة من هنا لجوؤهم إلى الرمزيات او إحجامهم عن التعبير. لقد رد هنري برغسون عجز اللغة هذا إلى منشئها نفسه: فهي اصلا اداة ابتكرها العقل المنطقي المنشغل بالتعامل مع المادة والاستفادة منها عن طريق تجزيئها وإخضاعها للقياس وتصنيفها ضمن مقولات عامه، طلبا للانتفاع والمردوديه، ولا يمكن لمثل هده الاداة ان تعبر عما هو وجداني خاص متصل غير قابل للتجزؤ وغير منطقي بالضرورة، عن تيار متدفق صفته انه متصل كيفي او "ديمومة". يقول برغسون: "كل منا يحب ويكره بطريقته الخاصة، وهذا الحب والكراهية يعكسان شخصيته بكاملها. إلا ان اللغة ترمز إلى هاتين الحالتين بنفس الكلمات لدى كل الناس، فلا تعبر من تم سوى عن الجانب الموضوعي اللاشخصي في الحب والكراهية والاف العواطف الاخرى". إن الكلمات لا تاتي فقط غير متوافقة بل ومتاخرة ايضا، ففي ذروة الالم لا يملك الإنسان غير الصياح فقط، ولا يتكلم عن الالم ليصفه، او ليصف ذكرياته ومخلفاته إلا بعد هدوئه او زواله، لذا يقول الفونس دوديه: "لنتساءل في البداية عن مدى قدرة الكلمات عن التعبير عن الالم الحقيقي، إنها تاتي دائما متاخرة بعد ان يكون كل شيء قد عاد إلى سابق اوانه. إن الكلمات لا تعبر سوى عن ذكريات فهي إذن كاذبة عاجزة".

اللغة ليست مجرد اداة للتعبير عن فكر جاهز ومكتمل. إن التفكير والتعبير سيرورتان متزامنتان ومظهران لنفس الوظيفة المعرفية المميزة للإنسان، دون ان يعني ذلك قدرة اللغة على استنفاد غنى الفكر وإمكاناته المتعددة.

## اللغة والسلطة

http://netcour.online.fr

اللغة ظاهرة معقدة، مما جعلها تطال ميادين مختلفة ومتعددة كميدان السلطة والفكر والإيديولوجيه والمنطق ... إلخ، ومع تطور الدراسات اللغوية الحديثة تاكد ان للغة ذاتها سلطة على النفوس والعقول وانها تتضمن رؤية للعالم، وان تحليل لغة السلطة يتعين ان يمر اولا عبر سلطة اللغة ذاتها، خاصة في مجتمعات مليئة بالكلمات والرموز والعلامات التي تداهم الفرد بواسطة وسائل الإعلام او وسائل المعرفه المختلفه عبر اجهزة الإيديولوجيا والسلطه ذاتها.

لقد اصبح من المؤكد من خلال تصورات العديد من الفلاسفة ان هناك علاقة وطيدة بين اللغة والسلطة، حيث لا يمكن تصور لغة بدون سلطة او سلطة بدون لغة، فإذا كانت اللغة فعل من افعال السلطة حسب نيتشه على اعتبار انها تبقى اداة في يد الاقوياء والمهيمنين للتصنيف بين القيم (الخير/الشر، النبيل/الحقير...)، فإنها مع ج.غسدورف تعمل على توجيه الإنسان ليندمج في التراتبية الاجتماعية، بحيث تفرض عليه الاستعمال الصحيح للكلمات داخل النظام الذي ينتمي إليه، وفي نفس الوقت تساعده على الخروج من ذاته والارتباط بالمحيط العائلي والانفتاح على العالم، فبسبب اللغة يضطر إلى التخلي عن حياته الداخلية والخاصة لمصلحة الوجود الاجتماعي الخارجي.

إن اللغة كذلك سلطة تشريعية وإلزامية قانونها اللسان، بفعل التكرار والاجترار الذي يطال الكلمات التي يتداولها الافراد، إذ تحدد نطقنا والفاظنا وتركيبنا اللغوي، لتصبح اداة للضغط ومعبرة عن الخطاب الإيديولوجي السائد في المجتمع. هكذا تكون اللغة في نظر رولان بارط تحت تاثير الطقوس والعادات وتحت ضغط الطابوهات وسيلة تخفي بها الذات المتكلمة ما تود قوله، اي ان الذات تتكلم في حدود ما يسمح به المجتمع. كما ان اللغة تحمل في ذاتها صيغة إلزامية تعمل على تاكيد وإثبات ما يجب ان ينطق به الفرد في إطار علاقته بين الافراد في حدود ما تسمح به هي، ومن هنا لا تظهر قدرة الفرد الإبداعية إلا من خلال قدرته على الالتزام بقوانين النسق اللغوي وبهذا يصبح الإنسان عبدا للغة اكثر مما هو سيد لها.

وإذا كان دي سوسير يدرس موضوعة اللغة كموضوعة مستقلة، والفصل المطلق بين اللسانيات التي تقتصر على اللغة في باطنها وتلك التي تهتم بما هو خارج عنها، فإن بيير بورديو سيتوجه نحو دراسة اللغة في إطار مجالات استعمالها المتعددة والشروط الاجتماعية لاستخدام الكلمات.وحسب بورديو تبقى دراسة دي سوسير حبيسة البحث عن قوة الكلمات وسلطتها داخل الكلمات ذاتها، اي حيث لا وجود لتلك القوة ولا مكان لتلك السلطة. ليست سلطة الكلام إذن إلا السلطة الموكولة لمن فوض إليه امر التكلم والنطق بلسان جهة معينة، اي ان اللغة تستمد سلطتها من الخارج وترمز إلى سلطة وتمثلها وتظهرها، فاي خطاب مرتبط بسلطة تتحدد بحدود التفويض الذي تسنده المؤسسة للشخص الذي ينتج ذلك الخطاب، فالاسلوب العلائقي اللغوي الذي تتميز به لغة القساوسة او الاساتذة وجميع المؤسسات راجع بالاساس إلى المقام الذي يحتلونه في إطار سباق وتنافس هؤلاء الذين اسندت إليهم بعض السلطات. إن فحوى الخطاب وكيفية إلقائه في ذات الوقت يتوقفان على المقام الاجتماعي للمتكلم، ذلك المقام الذي يتحكم في مدى نصيبه من استعمال لغة المؤسسة واستخدام الكلام الرسمي المشروع، ومن ثمة فإن من فوض إليه ان يكون ناطقا باللسان، لا يؤثر عن طريق الكلمات ذاتها، بل يؤثر بالراسمال الرمزي الذي وفرته الجماعة التي فوضت إليه الكلام ووكلت إليه امر النطق باسمها واسندت إليه السلطة. فالخطاب ينبغي ان يصدر عن الشخص الذي سمح له بان يلقيه، اي عن هذا الذي عرف واعترف له بانه اهل لان ينتج فئة معينة من الخطابات وانه كفء جدير بذلك (كالقس والاستاذ والشاعر...)، كما ينبغي ان يلقى في مقام مشروع اي امام المتلقى الشرعي فلا يمكننا مثلا ان نلقي قصيدة سريالية امام مجلس حكومي.

اللغة السلطوية ليست إلا الحد الادنى للسان المشروع الذي لا يستمد سلطته من مجموع تغيرات النطق وكيفيات التلفظ التي تحدد النطق، ولا من تعقيد تراكيبه الصرفيه وغناه اللفظي، اي من خصائص الخطاب داته، وإنما من الشروط الاجتماعية للإنتاج وإعادة إنتاج المعرفة بذلك اللسان المشروع والعمل على الاعتراف به داخل الطبقات الاجتماعية.

http://netcour.online.fr